

الجديدة الى العالم / رواد طربييه .-مارك أليين أو شاعر النظرة القديمة  
:Revue des lettres et de traduction. — N° 3  
ص. ٥٩-٤١, (1997)

I. Langage et langues II. Poètes III. Traduction

PER L1037 / FL70588P

# مارك ألين أو شاعر النظرة القديمة – الجديدة إلى العالم

رواد طرييه

إذا قلتُ إن مارك ألين Marc Alyn شاعر وضعته على حدِّق الناس .  
فالشاعر، عندي، لا عالي يعلوه . كأنما الله نفسه، في عملية الخلق، شاعر .  
وإلا، فكيف انتظم هذا الكون قصيدةً قد بُنيت على بوانيتها، كلمةً كلمةً، لا  
نحذف واحدة منها إلا ونكون قد حذفنا الكون لا بحجر أو صخر أو سلسلة من  
جبال، بل بمجرة لا تبقي ولا تذر .

شاعر مارك ألين، وحسبه ذلك . فالشاعر الأصيل لا يأخذك بالأحاييل .  
والنظام ليس شاعراً . والبهلوان ليس شاعراً . ولا كاسر مزراب العين . فهؤلاء  
وسوس إليهم الوسواس الخناس، وهم في المهدي لا يعقلون، فهذروا ومزروا وملأوا  
رفوف المكتبات بما ليته بقي ورقاً أبيض، بينما حنت على مهد الشاعر جنية حسدها  
الإنس كلُّه على خيرها العميم .

وجنية مارك ألين جعلته جنَّ شعراً منذ نعومة أظفاره حتى يومنا هذا، وقد بلغ  
الستين من العمر، جنّاً حياً، خجولاً، ناعماً كجناح فراشة، وكمثله سريع  
العطب، يتقطر كانداء الفجر، يضيء كالقمر ولا ينير كالشمس، أضمومة من  
بنفسج، جنّاً أليفاً يالفة الملاك الحارس .

وملاكه الحارس اليوم هو شاعرة من عندنا، نهاد سلامة، ربيبة جنية رؤوم  
حنت على مهدها أيضاً عند أعمدة بعلبك وأعدتها لتربط مصيرها بمصير من أحب  
لبنان كما لم يحبه أبناؤه، ولا سيما بيلوس التي كتب فيها ما كان صلة الوصل بينها  
وبين بعلبك، بين فينقيا واليونان من جهة، وبين الرومان من جهة أخرى، أي بين

ما يكون لبنان منذ قديم الزمان ، إلى آرامية عبرت وما عبرت ، وإلى عريية يسيل بها قلمي سيلانه من أرز ، لا من قيصوم وشيح وثمام .

كثيرون من كبار الأدباء الفرنسيين أتوا إلى الشرق ، بما فيه لبنان ، وقليلون أتى الشرق إليهم . شاتو بريان ولامارتين مثلاً جاءا إلى الشرق ، بينما نرفال ورينان جاء الشرق إليهما . أما مارك ألين فثأنه مع لبنان شأن آخر . كلاهما إلى الآخر جاء . فكلما تقدم لبنان لملاقاء مارك ألين ميلاً ، تقدم مارك ألين ميلين . قال :

أمشي إلى الشرق الحبيب كما نسير إلى المعين  
 كي نهمل الماء الزلال وننقع الفلّ الدفين  
 ماءً تحلب أو تقطر من شفاه الأنبياء  
 يا كلمة زرقاء أو بيضاء ، يا ماءً كما الله يشاء . . .

وقال في بيلوس ما سوف أعود إليه بالإسهاب الذي تسمح به السانحة:

سنة آلاف عام فالزمان  
 رقة من هذب  
 ستة آلاف عام فالزمان  
 مثل فستان سقط  
 كاشفاً كتفاً أتى الليل ليسكب فوقها  
 نهراً من الشعر الذي ما زال يحيا بحياة .

ولكنني هنا اليوم لأعرفكم بمارك ألين لا لأكتب في هامش النص الذي لا تعرفونه . فالمتن قبل الحواشي ، ولو كانت توشية بخيوط الحرير .

أبصر النور في مدينة رينس قاعدة مقاطعة الشامبانيا وزجاجات الشامبانيا العتاق ، سنة ١٩٣٧ .

الحرب خضّته خضاً. والشامبانيا، إذا خضّت، تفجّر حبّاً قبل تقادّم الزمن. فمملكة الشاعر الكامنة لدى ذلك الفتى الأسمر تجلّت لعينيه وهو في الرابعة عشرة من العمر، ثم ائتلفت ديواناً مطبوعاً بعنوان *Le chemin de la parole* وهو لم يجاوز السابعة عشرة، عقبه، في السنة نفسها *Rien que vivre* ثم *Demain l'amour*. ثلاث مجاميع في سنة واحدة، واكبتها مجلة في الشعر عنوانها *Terre de feu*، أنشأها هو، ومولّها من عمل يديه في العطل المدرسية.

مجاميع لفتت نظر الكبار فعهد إليه جان روسلو مهمة النقد الأدبي في صحيفة *l'Echo d'Oran*، وأثاد به ألين بوسكه في صحيفة *Combat* وأصبح من العاملين في دار النشر *Caractères*، بينما ألف ديواناً جديداً عنوانه *Liberté de voir* نشره في السنة التالية، كما نشر له ييار سيغرس *Le Temps des autres*.

وسنة ١٩٥٧، ومارك ألين في العشرين من العمر، نال جائزة ماكس جاكوب للشعر، وهي عديلة غونكور للرواية، وكان أعضاء اللجنة المحكمة: *Jean Cocteau, Jean Paulhan, Jules Supervielle, Jean Rousselot, Pierre Mac Orlan, André Salmon, Michel Manoll, Maral Béalu.*

فهل أعظم من أن ينال شاب، في يوم ميلاده العشرين، جائزة الشعر الكبرى من أيدي مشاهير ذلك الزمان، بل مشاهير كل زمان؟ أليس من الخطر أن يركب رأسه ويظن نفسه أحد الأحدثين، فيهبط شعره فيما يتعالى بعين ذاته، أو يطلق الشعر ثلاثاً بعد أن بلغ منه الأوج، وينطلق في مغامرات يتتعل فيها الرمل والوحل بعد انتعاله الريح على غرار رمبو؟

إن ديوانه الأخير *Le Temps des autres*، أي «زمن الآخرين» أصبح، بين ليلة وضحاها، ديوان الشيبية الفرنسية الأصل أو اللسان، ونقل إلى عدة لغات بينها اليابانية، وكان منطلقاً بدلاً من أن يكون منغلّقاً، فتبعه، في السنة عينها، ديوان عنوانه *Cruels divertissements*، فأعجب به الناقد كلود مورياك أي إعجاب، وكتب فيه مقالاً مدوياً في الفيغارو حول صوفية الحب الجسدي. ونشأت صداقة وطيدة بين الشاعر وبين الروائي فرنسوا مورياك والد كلود مورياك، أسفرت عن

كتاب في مجموعة سيفرس الشهيرة «شعراء اليوم» ألفه شاعرنا في فرنسوا مورياك كشاعر .

لحنه الملحنون ، وغناه المغنون ، وسجل شعرة كبار الممثلين . وقال فيه ناقد الشعر الشهير ألين بوسكه ما توجت به صحيفة كومبا صفحتها الأولى . قال : «يطيب لي أن أحيي اليوم بحماس وإجلال عظيمين شاعراً في الخامسة والعشرين من العمر ، أتخفنا بستة دواوين أثبتت أن بيننا أحد أكبر الشعراء الفنانين فرادة وأصالة . . . إنه في البدء ، في حيث يختلط العنصر الأول بالكلمة ، في الموضع الذي لا يزال فيه الخيار «نقياً من كل مصير» . وهو يسحرنا ويهزنا في كل يوم . وبفضله أمكنني ، هذا الأسبوع ، أن أهرب من العابر الزائل . وبفضله ، بعد عشرين سنة ، سأهرب أيضاً من العابر الزائل بأشكاله الأخرى» .

ونشر رواية في دار فلاماريون سنة ٦٤ بعنوان Le Déplacement وتولى صفحة نقد الشعر في جريدة الفيغارو ، وألف كتاباً في أندره Richaud الشاعر ، وأنشأ مجموعة «الشعر» في دار فلاماريون ناشراً فيها من انتشر فيما بعد اسمهم في الناس كأندريه شديد وبرنار نويل ولوران غاسبار ولوك بريمون .

مجلة «La Grive» خصته بعدد كامل سنة ١٩٧٠ . وكثرت كتبه بين شعر ونثر ، وكثرت الجوائز والأوسمة ، وبقي في تواضع الطفل ، محققاً في شخصه حكمة كل عصر وعصر : من ارتفع اتضع .

سنة ١٩٧٢ دعاه مركز الساحة اللبناني لزيارة لبنان . فبهره الشرق الذي كان مضمراً فيه ، ور kec خاشعاً أمام آثار جبيل وتعرف إلى نهاد سلامه شاعرة وصحافية بالفرنسية .

وتالت المؤلفات والمنشآت الثقافية وبعض الطباعات المرفهة النفيسة . وحاضر هنا ، وحاضر هناك ، في بلجيكا وبولونيا ورومانيا وتونس وغيرها كثير . وكتب مجموعة برسوم لـ Carzou عنوانها Poèmes pour notre amour . ونال الجائزة الكبرى لجمعية الشعراء الفرنسيين ، بعد نيله جائزة أبولينار .

في الثامن عشر من شهر آذار سنة ١٩٨٧ لقي هذه المرة نهاده سلامه لقاء من ستقترن حياته بها. وتوجه إلى بيروت عبر قبرص وألف «كتاب العشاق» يهداه إلى نهاده سلامه. وألف ديوان «بيبلوس». ونال الجائزة الكبرى لجمعية أهل الأدب، وجائزة الشعر الكبرى للأكاديمية الفرنسية.

وماذا؟ وماذا؟

واحد وعشرون ديواناً.

تسعة عشر كتاباً محدودة النسخ، نفيسة.

سته كتبٍ شعرية للشيبية.

نصوص نثرية كثيرة بين رواية ومحاولة ومسرح.

والنقد الأدبي؟ والنقد الفني؟ والترجمات الشعرية التي بلغت العَشْر؟ وترجم إلى اليابانية والأميركية والسلافانية والألمانية والإنجليزية والإسبانية والقرواطية والهولندية والصينية. . . وما ترجم إلى العربية بعد. ولعله ينتظر قلبي المتواضع.

وما كُتِب فيه بقدرٍ ما كُتِبَ هو.

واللقاءات حوله لا تحصى. ففي هذه السنة بالذات عشرة لقاءات مبرمجة، حضرت أولها في السابع والعشرين من شباط الفائت، وهو أمسية حول مارك ألين في دار الشعر، مسرح موليار، باريس، إذ تولت ماري كلار Bonequart تقديم مؤلفات الشاعر، وتولت Vicky Messica قراءة بعض نصوصه الشعرية.

قراءة نص مارك ألين يحوله الأداء الحسن شعراً ولو كان من النشر. فما بالك إذا كان من الشعر! إنك تُلذذ به حواسك الخمس. فالعين تراه وضاءً كما رأى الله النور إنه حسن في أول أيام التكوين. والأذن تسمع أوتار القيثارة التي تهتز في ذلك الحيل النوراني الذي يزتر الكون برأي أفلاطون. والأنف يشم الطيوب التي كان يتبخر بها الآلهة في هياكل الأقدمين. والفم يتلمظ تفاحة الفردوس الأرضي. واليد تمسح الحبق وريش النعام وبشرة الكاعب الخبيثة. ولو كان لنا حاسة سادسة لأوقفنا في شعر مارك ألين على أن الماء هو لهب بلبل كما يقول نوقاليس وكما يمكننا أن نعكسه بقولنا إن اللهب هو ماء قلق الصفحة على جفاف. فالأمور،

شعراً، هي أشباه وأضداد في آن واحد. بل إنما الشعر هو ذلك الفراغ الملائن بين الأشباه والأضداد، وهو ذلك الذي يرى الحر في القر والقر في الحر.

وشاعرنا ما توقف يوماً أمام قشور الأشياء. لقد عبأ من البداية بكل البدايات؛ بمحلولها الشعري السحري، لا بما هو الموزون القفى، أو المنسرح الذي أطلق له العنان، أو الهشيم الرجيم الذي ليس له من غرض سوى نفي كل رخييم.

ولأن البدايات ديدنه من البداية فقد رجع بنا إلى الغنائية التي لا شعر بدونها ولو كان برناسياً أو رمزياً أو سوربالياً أو صرعة من صرعات هذا الزمان. ورجع بالكلمة إلى مدلولها الأول بعد أن نفض عنها أعرام الغبار الذي كدسه المتحذلقون أي كثيرو الكلام الصلف وليس وراء ذلك شيء.

قال للغة كوني فكانت. أعاد إلى اللغة ملكة الكلام. وهو كلام من ملح ومن نسغ ومن معنى، كما قال Dobzinski صاحب الديوان الشهير: الحياة أوركسترا.

وهكذا، فقد كفانا جعجعة حتى الآن، فلنتقل إلى الطمن، أي إلى نماذج من شعر مارك ألين في الأصل وفي النقل. قال في قصيدة عنوانها Dédicace أي إهداء:

Prends ce livre. Ouvre - le. - Non, qu'il t'ouvre et te prenne!  
Comme toi il est fait d'éclairs et de silence.  
Reçois - le en plein cœur, femme, ma souveraine.  
N'oublie pas que c'est lui qui te lit et te pense.

Ce livre, encre et papier, remonte à l'onde, à l'arbre,  
En un haut bruissement le vent tourne ses feuilles;  
On y entend le temps cruel user les marbres  
Et la pluie s'égrener sur la treille du seuil.

Que le vin de l'instant à ta lèvre scintille  
Même si l'amour fou assassine l'amour!  
La voix persiste et saigne. Avance dans le livre.  
L'orage est ta maison, l'orange ton séjour.

خذي هذا الكتاب وقلّبيه .  
 فإن كتابه برقّ وصمت  
 خذيه كصدمة ، فلأنتِ عندي  
 على أن الكتاب يظلّ فيه  
 ولكن لا ، ليأخذك الكتابُ  
 ومثلهما تَمَمَّصَكِ اللُّبَابُ .  
 المليةُ أمرُها أمرٌ عَجَابُ .  
 الخطابُ لنا جميعاً والجوابُ .

كتاب صيغ من ورق وحبّر ،  
 حفيفٌ في المسامع حين تمضي  
 وفيه نسمع الزمن العتي  
 وزخاتِ الشتاء على عريش  
 وكان الأصلُ من شجرٍ وماء ،  
 تقلّبه أصابعِ الهواءِ ،  
 الذي يبيري الرُخام بلا حياءِ  
 تمدّد حاضناً عَتَبَ الفِناءِ .

ألا فليتمع خمرُ القواني  
 ولو كان الهوى المجنون يُلقِي  
 وإن الصوت لا يخبو صده .  
 فدارتُكِ الأعاصيرُ الدواهي  
 التي نحيا على قاني لَمَاكِ  
 الهوى العادي في شَرِقِ الهلاكِ !  
 زدي درسَ الكتابِ يزدُ حِجَاكِ .  
 وغير البرتقالةِ ما أواكِ .

قصيدة كلاسيكية النسق كالغسق . وكالغسقِ جديدة كل يوم . إنها عملية  
 الخلق المستمرة في كل لحظة ، وإلا فالعدم واقف بالمرصاد . والخلق هو الشاعر ،  
 أي إنه الليل الذي لولاه لما طلع النهار . فالنهار ما نقول نثراً ، والليل ما نقول شعراً .  
 بمعنى أن الحجب هي التي يطلع من ورائها السر . والحجاب كتاب ، في ممتنه  
 الخطاب والجواب ، كمال قال الشاعر .

وقال في قصيدة عنوانها Eau de feu أي ماء من نار ، في عودة لا واعية إلى  
 نوقاليس ، أو في العودة إلى الكوثر الواحد الذي يتعalle كبار الشعراء :

Mais un seul cristal prend sa source  
 En ton centre parfait, Amour,  
 Et les brindilles de tes rires,  
 Le bois vert de ton corps feuillu  
 Me grisent mieux que larmes d'astres



Car je sais bien, en écartant  
 Les branchages de tes paupières  
 Découvrir ces fruits où le jour  
 Se reconnaît, et prendre au piège  
 Le feu dur, le feu doux, le Feu.

لكنَّ بَلُوراً وَحِيداً يَنْبَعُ  
 مِنْ وَسْطِكَ الْكَامِلِ، يَا حُبُّ،  
 وَغُصُونُ ضِحْكَاتِكَ،  
 وَالخَشْبُ الْأَخْضَرُ مِنْ جَسَدِكَ الْمَوْرِقِ  
 تُسْكَرُنِي أَكْثَرَ مِنْ دَمْعِ الْكُؤَاكِبِ.

فأنا الخبير بأنني إذا ما أزحتُ  
 أغصانَ أجفانكُ  
 ألقى الثمار التي فيها النهارُ  
 يعرف فيها نفسه ويقنصُ  
 النار الصليبية، والطرية، كلَّ نارٍ.

القصيدتان هاتان من ديوان Le Livre des Amants أي كتاب العشاق،  
 تتقدم Poèmes pour notre amour أي قصائد لأجل حبنا، ونصوص أخرى.  
 وكلها كتبت في ساعات كالحلة بلبنان، بين عامي خمسة وثمانين وثمانية وثمانين،  
 وتوجهت إلي نهاد، نهاد سلامه في حينه ونهاد ألين اليوم. وكرمي لعيني نهاد  
 إليكم مقطوعةً أخيرةً من الكتاب نفسه:

Commencer, puisqu'il faut que toujours tout commence  
 Entre nous, les amants de l'instant éternel.  
 Tout est au bord de naître à jamais, tout s'élançe:  
 De la mort sort la danse et de la chute l'aile.

هيا ابدأي إذ إنه منذ الهنيهات الأول  
 يلزم أن يبدأ دوماً كل شيء  
 ما بيننا نحن كلينا عاشقي  
 تلك الهنيهات التي تخلد  
 والكل قد أو شك أن يولد  
 من أزل لأيدٍ، من أبدٍ إلى أزل،  
 والكل ينطلق:  
 الموت من الرقص ينبثق  
 ومن السقوط الجنح ينعتق.

وأبقى في «كتاب العشاق» رغم قولِي لكم إنني سأقرأ مقطوعة أخيرة. فمن  
 الكتب ما تصحبها لأنها تسحبك إليها، علمت أو جهلت. إنها كتب الوسادة كما  
 يقال، بل إنها قوام ثقافتنا بمعنى سداد الرأي وسواء السلوك. Prose du voyage  
 vers l'Orient نثر الرحيل إلى الشرق:

J'arrive! Me voici. Attends un peu. Je viens.  
 De tous ses chiens de feu, l'Europe aboie en vain.

Je l'entends dans mon dos qui tire sur ses chaînes,  
 Rongeant comme des os mes amours et mes haines.

J'arrive! Je suis là, presque à côté de toi.  
 Sur la vague et le vent mon cœur court devant moi...

Je vais vers l'Orient comme on va aux fontaines  
 Boire après tant de soifs la seule eau souveraine:

Celle qui ruissela de la voix des prophètes,  
 Verbe bleu, verbe blanc, eau douce où Dieu nous guette.

Et nul ne sait s'il boit ou si lui-même coule  
 Dans les lèvres de l'eau qui s'abreuve et roucoule.

Je viens de loin. Je viens de plus loin que la nuit.  
J'émerge, trait à trait, du brouillon de ma vie.

Qui suis-je? Un chant tétu qui s'acharne à poursuivre  
L'indicible harmonie de la lyre et du livre.

Un poète, un amant, un chercheur d'infini,  
Un pèlerin de Dieu qui rôde autour de lui

Dans l'espoir de saisir, au terme de ses veilles,  
Le fil vertigineux qui conduit au soleil.

إِلَيْكِنِي فِتْمَهْلِي .  
وِخْلَفِي تَغْتَلِي؛

كَسْرَ طَوْقِ قِيُودِهَا  
مِثْلَ عَظْمٍ وَعُودِهَا .

صُرْتُ قُرْبِكَ أَوْ أَكَادُ  
يَسْبِقْنِي الْفُؤَادُ . . .

كَمَا نَسِيرُ إِلَى الْمَعِينِ  
وَنَنْقَعُ الْغُلَّ الدَّفِينِ

مَنْ شَفَاهُ الْأَنْبِيَاءُ  
يَا مَاءَ كَمَا اللَّهُ يَشَاءُ .

أَمْ عَلَى الْعَكْسِ يَسِيلُ  
يُعَلُّ أَوْ يَهْوَى الْهَدِيلُ .

هَذَا إِنْنِي آتٍ! وَصَلْتُ .  
عَبَثًا تَثُورُ كِلَابُ أُرُوبَا

إِنِّي لِأَسْمَعُهَا تَحَاوُلُ  
نَهْشًا لِأَحْقَادِي وَحَبِي

هَذَا إِنْنِي قَدْ جِئْتُ، بَلْ قَدْ  
وَعَلَى جَنَاحِ الْمَوْجِ وَالْأَرْيَاحِ

أَمْشِي إِلَى الشَّرْقِ الْحَبِيبِ  
كَيْ نَنْهَلَ الْمَاءَ الزَّلَالِ

مَاءً تَحَلَّبَ أَوْ تَقَطَّرَ  
يَا كَلِمَةً زَرْقَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ،

لَا، لَيْسَ مِنْ يَدْرِي أَيُّ شَرِبُ  
بَيْنَ الشَّفَاهِ مِنَ الْمِيَاهِ



Chaque jour j'écris le premier mot de mon langage.  
 Je suis neuf jusqu'au crépuscule.  
 Chaque baiser de l'aube sur la bouche des arbres  
 Me fait don d'une peau future.  
 J'écris la langue des pierres et des herbes,  
 Le dialecte des nuages, le patois des forêts,  
 Je dis le monde avec le monde pour encrier  
 Sans souci des lettres qui flambent.  
 J'écris bleu - c'est le ciel, et rouge - c'est le sang,  
 Limpide ainsi que l'eau qui file.  
 La pulpe de ma voix a la fraîcheur du fruit:  
 Dévorez-moi jusqu'aux racines, dévorez-moi!  
 Après les graffiti du scribe de l'enfance  
 Ici commence la dérive de l'arche de papier  
 Vers les grands fonds de l'univers...  
 Dévorez-moi!

في كل يوم أكتبُ الكلمةَ الأولى لقاموسي .  
 إني الجديد إلى الغسق  
 قُبلةُ الفجر على ثغر الشجر  
 تمنحني جلدًا عتيدا .  
 أنا أكتبُ لغةَ الحجارةِ والكلاؤ  
 ولهجةَ الغيومِ ، والدارجِ في الغاباتِ  
 وأقوله العالمِ والعالمِ محبرتي  
 غيرِ مبالٍ بالحروفِ اللاهياتِ .  
 أكتبُ الأزرقَ - تنداح السماءُ  
 أكتبُ الأحمرَ - تنساب الدماءُ  
 صافيةً كالماءِ في سيلانه .  
 وللبُّ صوتي نضرةُ الثمرة .  
 حتى الجذورِ التهموني ، التهموني!

من بعد ما خربشه قلمُ الطفولة  
هنا يبدأ انحرافُ فُلكِ الورقِ  
نحو أغوار الوجود الساحقة . . .  
إلْتَهْمُونِي!

قصيدة ثانية من المجموعة نفسها بعنوان : Prière pour aucun Dieu

Que m'importe de mourir: la faim est une plaie fidèle.  
Mes lèvres sont cadennassées  
Sur un ciel où se cognent les hirondelles.

Disposez de mon corps, faites - en sans chagrin  
Un caillou pour vos murs un matelas pour chien.  
Jetez - le à la mer ou sous les roues d'un train,  
Dynamitez mes os, incendiez mes mains.

Brisez mon souvenir, glace sans queue ni tête:  
Les filles mireront leurs lèvres dans ses miettes.

Prenez l'œil inventé par l'image en cavale,  
Mon sang pour vos champs de bataille,  
Le réseau de mes nerfs détissé maille à maille,  
Tous les débris à la ferraille!

Mais quand l'aube sur nos fenêtres  
Frappera du bec les trois coups,  
Il vous faudra me reconnaître  
Ange ou démon, selon les goûts.

Pour avoir vécu chaque mot  
Comme une naissance à venir,  
J'aurai, épave dans le flot,  
La joie de chaque jour mourir.

ما همني إن مت فالجوع هو جرح أمين .  
 شفتاي أقفلتا على باب سماء  
 فيه يرتطم السنونو كل حين .

جسدي افعلوا ما شئتم فيه بلا حزن  
 حجراً لجدركم  
 أو فرشةً لكلبكم  
 القوة في بحر بلا قرار  
 القوة تحت عجلات القطار  
 إنسفوا مني العظام وأحرقوا اليدين .

حطّموا ذكري: جليدٌ دون رأسٍ أو ذنبٌ  
 في نثراته سوف تتمرأى الفتيات .

وخذوا العين التي اخترعها الخيال في شطحاته  
 ودمي إلى ساح المعارك  
 وكذلك شبكة الأعصاب فكتت عقدةً فعقدةً  
 والحطام جميعه حتى نفايات الحديد!

لكن إذا ما الأفق لاح على نوافذكم  
 يضرب بالمنقاد مراتٍ ثلاثاً  
 يلزمكم أن تعرفوني  
 إن ملاكاً أو رجيماً وفق ذوقكم

ولأنني قد عشت كل كلمة  
 كولدية في مقبل الزمان  
 سيكون لي ، وأنا على كف القدر  
 فرحي أنني أموت كل آن .

قبل أن أترك هذه الثلاثية التي افتتحت عهد مارك ألين بالشعر، وكان فتى ما  
طرَّ شارباه بعد، يحلولي أن أشير خطفاً إلى الجوار في المكان وفي الوجدان بين  
مارك ألين ورمبو، فأضع جنباً إلى جنب قصيدة رمبو الشهيرة Le dormeur du val  
وقصيدة مارك ألين Sans merci .

قالت قصيدة رمبو، وهي سونّة، في مقطعيها الأخيرين:

Les pieds dans les glaïeuls, il dort. Souriant comme  
Sourirait un enfant malade, il fait un somme:  
Nature, berce - le chaudement: il a froid.

Les parfums ne font pas frissonner sa narine;  
Il dort dans le soleil, la maison sur sa poitrine  
Tranquille. Il a deux trous rouges au côté droit.

رجلاه في الدَّبوث، يرقُدُ . باسمًا لا يستفيقُ  
فَكَأَنَّهُ طِفْلٌ عليلٌ غاب في نوم عميق:  
برِدٌ فهيّا دَفْيهِ أيا طبيعةً بالحنين .

والعطرُ من حويله ليس يَهْزُ جامدَ منخره  
هو نائمٌ في الشمس، فوق الصدر قد أرخى يديه  
طمَنُ . به ثقبانِ مُحمرّانِ في الجنبِ اليمينِ .

وقالت قصيدة مارك ألين، وعنوانها Sans un cri، بدون أي صُراخ:

Sans merci, il s'est couché  
Dans le lit au ciel de pierre.  
Sans merci, le front percé,  
Il a mordu la poussière  
Sur les lèvres de la mort.



Signalement: homme - rêve,  
Affiche en blanc sur le mur!

Tout finit par des fenêtres  
En ce monde de vertige.  
Qui se penche est aspiré  
Par le vide sans visage,  
Sans un cri - Ô basse pluie  
Où s'abreuvent les étoiles...

Mais pour crier, quelle bouche?  
Où l'air? Et pour quel poumon?  
Comment dire l'invisible  
Quand voir est une prison?

Sans un cri, il s'est couché  
Dans la tombe familière  
Qu'il portait depuis toujours,  
Lesté de deuils et d'amour.

Ne craignez plus rien de lui,  
Tristes dieux, il est la somme  
Des affres de son enfance:  
Il s'accepte, c'est un homme.

بدون أي صراخ، ها إنه رقدُ  
فوق سريرٍ سقفه من حجر .  
بدون أي صراخ، جبينه مثقوبُ  
قد عفرَ الترابَ  
على شفاه الموت .

علامة فارقة: الرجلُ - الحلمُ  
لافتةٌ بيضاءُ فوق الجدار!

كل شيء ينتهي بنوافذ  
 في عالم الدوار .  
 ومن انحنى التقفه  
 الفراغ بالآزار  
 من دون أي صراخ - يا مطراً وطينا  
 ترتوي منه النجوم . . .

ليسمع الصراخ ، من أي فم؟  
 أين هو الهواء؟ لأجل أي رئة؟  
 كيف يقال اللأيرى  
 فيما الرثاية سجن؟

بدون أي صراخ ، ها إنه تمدد  
 في الجذث الأليف  
 في جدث حملته منذ البداية  
 أثقله الحداد والحب .

لا تخافي منه شيئاً بعد  
 أيتها الآلهة التعيسة  
 إذ إنه مجموع  
 كل بلايا صباه:  
 يرتضي عن حاله فإنه إنسان .

أتراني رسمت لكم ، في ترجماتي لا في ملاحظاتي ، بعض الملامح التي تجعل صورة مارك ألين كشاعر غير غريبة عن أنظاركم كل الغربة؟ فمعرفة الفنان ، كائناً من كان ، تتبع من مسaire فنه لا من تدييح الكلام حول ذلك الفن . لقد قلت ذلك ، وأكرره للمرة الألف إذا لزم الأمر لكي يعرف الناقد حده ويقف عنده .

ولكن بقي أن أغوص معكم في اللهجة البدئية التي جدّ مارك ألين في طلابها  
حتى ديوانه الأخير L'état naissant أي «الحالة الوليدة» فأقرأ قصيدة واحدة صغيرة  
كانت غلقاً للديوان .

A force de descendre en direction du feu central  
Par les marches d'acier souillées d'huile et de sang  
De l'escalier à vis sans garde - fou du temps  
D'où l'on entend se perdre toujours plus bas les pas des anciens vivants  
Vers quelque trente - sixième dessous innommable du néant;

A force de nous compromettre avec les profondeurs  
Dans les relents d'essence à couper au couteau  
La rumeur des moteurs  
et les stridences de la mort acharnée à dissoudre les formes  
Divisant et rognant pour régner sur le vide,  
Accèderons - nous enfin à la salle des Machines  
Au cœur nucléaire de l'Origine?

لفرط ما ننحدرُ نحو السعير المركزي  
درجةً درجةً لوئها الزيتُ ودنّسها الدمُ  
في الدرج الملتف كاللؤلؤ دون حاجزٍ درج الزمان  
وهو الذي يُسمعنا ، أدنى فأدنى ، تختفي خطواتُ من كانوا على قيد الحياة  
صوب العميق الأعمق من دركاتِ العدم؛  
ولفرط ما نتورط في الدركات السفليات  
في عنق النفط الذي يعصى على السكين  
في ضجة المحرّكات  
في زفرات الموت يستشري لطمس معالم الأشكال  
يقسمها يقضمها كيما يسود على الفراغ  
أترى سنبلُغ غرفة الآلات  
ضمن صميم الذرة البدئية؟

لقد طلع الصباح فجاء دورُ الشَّرَّاحِ . وشَرَّاحِ مارك ألين يشرِّحونه ليشرحوه .  
وهل يُشرِّح الحيُّ أم الجثة الهامدة؟

حسبي ما قرأته عليكم في الأصل وفي النقل ، فكنت أحيًا مع الحيِّ ، متنفساً  
ملء رئيِّ . وإذا كنت قد أوقفتكم على بعض المعابر التي تقود إلى حميمية شاعر  
فرنسي كبير ، تنفس شعر القمم ، وأحب لبنان كما ندر أن يحبه اللبنانيون الخلِّص ،  
لا أكون أضعت عليكم وقتكم الثمين ، وأضعت على نفسي تلك المهلة القصيرة  
المتبقية لي في عالم الأحياء .